

نحن جيل لا نبيع أنفسنا ل أحد !

الى الاستاذ مجاهد عبدالمنعم مجاهد -
بقلم احمد يوسف داوود

بفرحة يد « خفيفة شاطرة ! » يمد الاستاذ مجاهد عبدالمنعم سبع قصائد من اصل عشر نشرت في العدد العاشر من الاداب لهذا العام ، وذلك في مقاله النقدي المنشور في العدد الحادي عشر . وسابادر فافرد اولاً ان البراعة التي يتمتع بها في هذا المجال يحسد عليها !!

الا ان حزني على مصير قصيدتي وقصائدي وزملائي قد تلاشى عندما تاذت في نهاية المقال « الدموي ! » ان الاستاذ مجاهد لا يعرف حقاً ماذا يقول - وليس لديه غير فكرة « قبلية » اراد ان يكرسها ، هي : ان جيل الشعراء الجدد - الجيل الاصغر كما يسميه - عاجز عن قول الشعر « العظيم ! » الذي يشبه ما ابدعه ، هو ، مجاهد عبدالمنعم ، باعتباره من شعراء الرعيل الاول ، حيث قرن نفسه الى عبدالصبور والبياتي وعاديس دون اي حرج !! ومن اجل تكريس تلك الفكرة التي سيطرت على الناقد « يعفس » بسرعة مدهشة سبع قصائد ثم تسعة شعراء ثم جيلاً بأكمله دون ان يرتعش له قداماً . الا انني لاشد على يدك يا استاذ مجاهد على هذه الجرأة وقوة القلب اللتين لا جرة ولا قوة .. بهنهما !

فبعد ان يمر بحوالي اربعة اسطر على كل قصيدة يبادر الى توضيح عقم الفكر فيها رغم تباهن مستوى التجنيح يقول : (فمن اين يأتي التكوين ونسج الصور بشكل بناء اذا كانت القصائد خالية من فكرة محورية ، واذا كانت القصائد تكشف عن ان اصحابها لا يعرفون حتى مبادئ الفن ..) .

ولكن هذا ليس هو كل شيء فالرجل بعد هذه الادانة ذات الصبغة التعميمية التي لا تتفق مع اصول النقد في شيء ، يندفع وراء فكرته القبلية التي حدها لنفسه سلفاً وهي « سحق الجيل الجديد » ويسلك لهذا سبيلاً لا يختلف في شيء عن اساليب «اجدادنا السليين ! » الذين يرون ان الابداع كل الابداع انما تم في الماضي .. وليس على الشاعر بعده الا ان يقلده : فهو يعمد الى الاشارة بالرعييل الاول وبنوه بارتباطهم بالثقافة العالية وباصالتهم ثم يعترف بفضلهم على الشعر الحر وتعميق انغامه والاهتمام بجمالياته والالتزام بالفكر الانساني - وهي والحق يقال صفات لا تنكر عليهم - ولكنه يخلص من كل ذلك الى « تصنيفهم » .. الى جعلهم الفاية التي تقف منها حركة الشعر الحر متجاوزاً بذلك كل « فهمه الجدلي » الذي عرفناه عنه في مقالاته النقدية المجردة - اعني غير التطبيقية - طالبا ان تكون القصائد الجديدة « تزويراً متقناً » لقصائد اولئك ، جاعلاً المعيار هو المقارنة بين هذه وتلك .. ثم يقرر اخيراً ان :

(شعراء الجيل الاصغر .. باسم حزيران وباسم الحزن العربي وباسم شواطئ الجزائر وباسم فراء الكوفة والموصل بيروون نشر الشعر ...)

ها هي « الفرية الشاطرة » تكتمل ويمسح الناقد يديه مستريحاً ، وقد فرغ من مسألة هذا الجيل « الفشم ! » نهائياً! شيء عظيم من سبع قصائد يدان جيل كامل ! ولكن ... مرة ثانية : النزعة التعميمية التي يسيرها الحكم القبلي بادانة هذا الجيل ، على مهر اعرج من القيم السلفية المرفضة بالوان الحداثة والمعاصرة !

والناقد لا يدع المناسبة تمر دون ان ينتهزها ، فيسلك نفسه بين ادونيس والبياتي وعبدالصبور ، واللائكة ، والقباني .. طائناً انه بذلك يحقق مكسباً شخصياً « يمر » على القاريء دون تمحيص!! - طبعاً لم يذكر السياب ولا احمد عبدالعطي حجازي ولا محمود درويش ولا بلند الحيدري ولا فدوى طوفان .. فربما كانوا لا يستحقون شرف الشول

بحضرة ! سؤبل ان انتقل الى معالجة الاستاذ مجاهد للقصائد اود :
١ - ان اذكره ان لهؤلاء الشعراء من الرعيل ، على اختلاف اساليبهم وآراء الناس فيهم .. لكل منهم العديد من القصائد التي لا ترقى الى مستوى الشعر حقاً . ورغم ذلك فهم شعراء بارزون ، لان لهم اشعاراً اخرى ممتازة .. ولم يعدمهم النقاد بجرم كتابة قصيدة رديئة ذات مرة!!

٢ - ان اهنيء الاستاذ فاروق شوشة على نجاة قصيدته من هذه الجزرة ولعلها قد شفع لها ان صاحبها من « الرعيل الاول » !
ولنعد الان الى بعض القصائد لنرى اسلوب الاستاذ مجاهد في النقد والتقييم وسأكتفي بقصيدة « الدليل » ل احمد دحبور و« حسين مردان » لفوزي كريم ، وقصيدتي : (الرهان)
١ - الدليل ل احمد دحبور :

يجتزى الناقد بعض العبارات من سياق القصيدة ليقرر على صولها ان القصيدة مذبوحة التجنيح ! مباشرة !! والسبب لانها قيلت في اطار مقتل غسان كنفاني الذي لا يمكن ان يعمد بالشعر - والكلام للناقد - وما الفرق بين هذه القصيدة ورتاء حافظ للملكة فكتوريا ؟ لا شيء الا في شرف الموضوع الاول - صبراً جميلاً وبالله المستعان - والقصيدة مزققة بسلا تأسيس والصورة تضيع وسط المباشرة !

كل هذه الاحكام المحزنة على قصيدة ممتازة ماذا فيها من الافتسار والتلفيق ؟

للاجابة على ذلك لا بد ان نسال : هل حقاً ان غسان كنفاني لا يمكن ان يعمد بالشعر ؟ اليست حياة مناضل كفسان ، والقصيدة التي مات من اجلها والطريقة التي تم بها الموت ، مواد شعرية منسجمة مع اعق ما في العصر من خصائص ايجابية وسلبية ؟ لا ريب ان الناقد يامرنا الا نكتب عن اي شهيد كما يتضح من كلامه .. لماذا ؟ احزروا .. !
لان الموضوع تناول من الخارج اي نعم !

لن اعلق على المقارنة بين كتابة شاعر عربي معاصر او مقاتل فلسطيني ك احمد دحبور عن موت غسان كنفاني ، وبين مرثية حافظ للمكتوريا بغير ابتسامة على هذه السداجة .. واقول سداجة لحسن نيتي تجاه الناقد مجاهد !

ان احمد دحبور في الواقع يتناول القضية الفلسطينية في مرحلة صراع الثورة المصري ضد اعدائها في الداخل والخارج من خلال تناوله لمقتل غسان .. واحمد دحبور ليس خارج عملية الثورة تلك وبالتالي فليست كتابته تناولاً من الخارج .. انها تناول من صميم الداخل .. من كل الاحساس بمرارة ايلول والعرقوب وغيرها ، بعد التشرد واستلاب الوطن وسكن المخيمات ..

احمد دحبور عرف فصلاً الشعور بالنجاة بعد اجتياز النهر في عمليات المقاومة ، وخبر تحت الرصاص - لا عن طريق الجرائد - كيف يتاجر بالفلسطينيين اولئك المتسكون ، ظاهراً ، باية الكرسي ، بينما (يموع لعابهم نظفاً على الصحراء) وعرف الام مطاردة الجزائريين للثوار ، ووصل اخيراً الى حقيقة انه (لن يأتي سوى الفقراء ..) هذه الحقيقة البسيطة التي تلخص كل ثورة الانسان في العصر الحديث والتي تحتاج دائماً الى التاكيد عليها لترسيخها وسط كسل التزويرات الثقافية والايديولوجية التي تتعرض لها الثورة العربية !! احمد دحبور يخاطب غسان الذي يملأ القصيدة بحضوره دون ان يظهر - مجسداً كما في المرثية القديمة - يذكره بكل ما يعاناه الانسان الفلسطيني وبكل المرارة التي يتجرها ليخلص الى قوله :

(ولن يأتي سوى الفقراء . مشعشة خناجرهم . مطمسة خواصرهم .

بسم الحربتين : من الاقارب طمئنان ، وطمنة من حربة الفرياء .
وها هي ساحة الكون : تطاردك البلاد بحبها وامامك الاعداء .
وغير الروم خلفك فارس والروم والامراء .)

ان احمد دحبور يصوغ من (الزق البسيطة) قصيدة مدهشة فيها من الامل قدر ما فيها من المرارة . وفيها من الشاعرية قدر ما فيها من البساطة والافتناع .. وكان الاجدر بالناقد ان يعترف ان تناول مثل هذا الموضوع في السياق الذي ورد عليه ، وفي الاطار الواسع الكبير الذي اختاره الشاعر له ، امر صعب . وان خلوص القصيدة

من الابتذال ما كان ليتوفر كما توفر ، الا على يد شاعر يعانى
فيستوجب معاناته في شعره مثل الشاعر احمد دحيور .

٢ - حسين مردان : لفوزي كريم

يقول الناقد بالحرف الواحد :

(يا قطار الشمال ، يا قطار الجنوب) و (تبولت بين الرصافة

والبيت)

وشاعر مات .. وخواطر حول هذا الموت .. ورؤية من الخارج
شان تناول الشخصيات الواقعة .. ولا شيء سوى ان شوارع بغداد
تمتد . ولا تنجح الا حيث ضريح الفرات الجميل وان الوطن غادر ،
وكلما ازداد حيا كان اجمل .. ثم تساؤل كيف ترك حسين مردان
الباب مفتوحا .. وهذا كل شيء فاين الشعر ؟ - انتهى كلام الناقد -
ان احدا لا يعرف ، في الواقع ، كيف يبجح ناقد لنفسه ان «يعفس»
قصيدة رائدة هذا العفس الغريب !.

(شاعر مات !!) ما قيمة هذا في نظر مجاهد عبدالمنعم ؟ العبارة
في سياق حديثه تشبه عبارة (قلب ومات) ! اين الشعر في موت
شاعر ؟ بل اين الشعر في الموت نفسه ..؟ هذه « السوبرمانية »
التي لا تصب بالوت والتي نحسها في عبارات الناقد ، تهزأ من القارئ
وتتهمه بالفساد !!

هل نذكر الناقد ان احساس الانسان بمواجهته للموت وصراعه
معه ، ومعرفته لمصيره .. كل ذلك قد خلق اعظم ما ابدع الانسان ؛ بدءا
من اسطورة تموز وملحمة جلجامش الى الاهرام ومعابد الفراعنة
وتحنيط مومياءاتهم الملهل .. الى كل الديانا والاساطير التي عرفتها
الشموب القديمة .. الى المسرح اليوناني .. الى .. الى ..؟؟

او حقا ان الانسان عندما يكتب خواطر حول موت انسان انفعل ،
شخصيا ، بحياته وموته يتناول الموضوع من الخارج ام انه يكون مكتوبا
بلذع عناصر الموت الكامنة في اعماقه هو ؟

ترك الاجابة للناقد ، لاقول له ليس ذنب المبدع الا يتمكن الناقد
من تجاوز مدرسية العبارات التي حفظها واستوعبها كميديا من مبادئ
الثقافة ، ليصل الى حرارة التجربة التي يعاينها ذلك المبدع !.

ولست ادري لماذا يكلف الاستاذ مجاهد نفسه ، عند نقد قصيدة
فاروق شوشة ، ان يكتب امام عبارة (واستسلم للعاهرة) : (رمز) !!
بينما لا يرى الرمز العميق الاصيل في نداءات فوزي كريم للقطارات
الساخرة في كل اتجاه ! الا ترمز هذه القطارات للحياة والزمان اللذين
يتجهمان ويتبعثران .. يتلاقيان وينفطران في كل اتجاه ؟ اوليست
هذه المقدمة هي المدخل الفني المكثف ، الى الموت كظاهرة . والى حياة
حسين مردان وموته كجزء متفرد في اطار تلك الظاهرة ؟؟

ولماذا يرى التجنح في قول فاروق شوشة : (بل انت اروع من
غني الاتي ومن عمري الذي يمضي بلا معنى) ؟ اين التجنح في هذه
العبارة التي استهلكتها الاغاني البتلة التي نسمعها كل يوم عشرات
المرات في عشرات الاذاعات ؟ - ومفردة من الاستاذ فاروق فالحقيقة يجب
ان تقال - ولماذا لم ير الناقد التجنح في قول فوزي كريم :

(هل تريد اسمه ؟ . كان يكره بغداد لكنه حين يستودع الله فيها
يموت . علمته الشوارع كيف يباغت ضوءا ويأسره .. علمه الفقراء
الباحون والمستريحون في النفي حزنا قديما وحزنا جديدا . وحزنا
تجاوزه بين مفهتي الرصافة والبيت ..) وفي قوله : (ها هو البيت
« عنراء » تولد والشرفة المترفة . تستضيء بك الان هل تلتجئ ؟ .
والنوافذ مغطاة .. ان سرا مباحا تدلى . وخطوك ما غادر العشيق
يا سيد الفقراء) بل لماذا لم ير التجنح في تلك المقاطع الرائعة
المرقمة ب : ١ و ٢ و ٣ ؟؟

والجواب ان الناقد لم يكلف نفسه عناء قراءة القصيدة !

وحسين مردان يترك الباب مفتوحا ربما للصراع مع اعداء الفقراء
او ضد الموت بعد ان عاش حياته الحافلة .. وتساؤل الشاعر هو:
كيف يفعل ذلك وهو يعلم ان الليل لم يبدأ وان السر مفضوح وان كل
شيء يصطاح على القلب ليظل مجروحا ! تساؤل مسخه الناقد مسخا ..
وهذه الغائمة الرائعة لا يستطيع مجاهد بأسلوبه المدرسي ذي
الاحكام القبلية الجاهزة ، ان يدركها . كما لم يدرك الحركة
الداخلية العنيفة النابضة باستمرار في القصيدة ، لتقدم لنا
شخصية شاعر كانت حياته فريدة مدهشة ، يكثفها في بساطة مشعة

متألقة فزيرة ، المقطع المرقم ب « ١ » . اما التبول بين الرصافة والبيت
فليس اكثر من تعبير عن الازدراء لهذا العالم الملوث المليء بالمرارة
والصراع والموت دون جدوى .. وللاسف فالاستاذ مجاهد لم ير في ذلك
اي رمز ، لانه على ما يبدو لا يستطيع التعامل باخلاص مع اية قصيدة
ما لم تكن لاحد اصدقائه !

٣ - الرهان : ل احمد يوسف داود

قصيدتي المسكينة وقعت هي الاخرى بين يدي الاستاذ مجاهد ،
وقبل ان يعمل سكينه في عنقها لم يستطع غير ان يعترف (بعذوبة
ابقاعها الشفيف وجماليتها الاسرة ورقة صياغتها) وبعد ان يستعرض
مقطعا منها يتساءل ويحجب (ولكن حول ماذا يدور هذا التجنح ؟
لا شيء سوى عتامة الغرض الذي لا يبين عن شيء ..)

مرحى استاذ مجاهد .. مرحى !! هكذا فليكن الذبح المتقن
والا فلا !!

احقيقة ان قصيدتي لا تقول شيئا ؟؟ انني اخاطب امرأة منذ اللحظة
الاولى بقولي : (تستعمل الكلمات سيدتي بوجهيها . للحسب
احيانا وللتصفيق احيانا ..) فهل يفقد السيد مجاهد ان المرأة
في الشعر لا تخرج عن كونها المرأة التي في علم التشريح او مناظر
دعاية الكباريهات .

منذ القديم كانت المرأة رمزا للخصب - الولادة - التحول .. وهذا
الرمز تمتلكه الطبيعة بمعنى ما .. كما تمتلكه بمعنى آخر ، الثورة
التي يحترق عصرنا وجيلنا من اجل ان تكتمل .. وادراك هذا ليس
معضلة حتى بالنسبة لاسط المتعاملين مع الشعر من ذوي الثقافة
العادية !

شيء عجيب ان ناقدا كالأستاذ مجاهد لم تستفزه ماهية هذه
المرأة التي تركض من اجلها خائفين والتي تبدأ من صلة مقطعة في
ارض معطلة وازمنة معطلة .. ومن الام السنين التي تزح تحتها .
هذه المرأة التي من اجلها تفوض الاف السياط حتى القلب . والتي
لا تتوقف عن ذكرها رغم انطفاء حرارة الاشياء . والتي هي (اخرهجرة
بين السلام وبين سيف الحب) .. هذه المرأة التي انتهت الى
الاغاني وكبرت فيها بائسة مزورة وصارت زنبقة من الشمع العتيق
... هذه المرأة التي من اجلها تميل الامتاق ونضياء مستوى الموت
القريب .. ولا يجيء ظلها ولا يغيب .. هذه المرأة التي تنتظرها في
الضياء المستحيل ونعاني من اجلها وجع التحول .. ونراهن عليها
بدمائنا !..

شيء عجيب كيف لم تستفزه هذه المرأة المتحولة في حركة دائبة

داخل القصيدة لترسم لنا صورة غنية بالشعر ، عن واقعنا ؟؟

ومن المؤكد ان الاستاذ مجاهد لو الهمه الله حل ذلك « اللفز

المستعصي !! » لبت القصيدة حارة متألقة .. ولكن ..!

كلمة اخيرة اود ان اقولها للاستاذ مجاهد : نحن يا سيدي
جيل مرغم ان يفوض في الهزيمة حتى قرارتها .. ولكن لن يختنق بها
لانه اكتشف ان الصراع لا مفر منه !! وهذا الاكتشاف يظل هو الامل
الكبير الذي ينشر ضوءه متدفقا عبر الظلمة الكثيفة الضاربة حتى
اعماق الحياة العربية . اننا حين نكتب انما نكتب مدفوعين بعنف
الدرامة التي تحاصر امتنا .. ولسنا ابدا ذلك الجيل الذي لا يسير
الا متطلعا دائما الى الخلف كما تريد لنا !! اننا نكرس الانسان
- كما فعل الرعيل الاول تماما واكثر - ولكن .. من خلال معاناتنا
نحن لا من خلال احلامكم ، وبوسائلنا الخاصة لا بتقليد وسائلكم
وتزويرها .. ولن يستطيع احد ان « يعفسنا » كما فعلت انت !.

ان اللذب ليس ذنبا في انك لم تتامل جيدا طبيعة جيلنا
وطبيعة معاناته واستجاباته اننا نعدوك للتعامل معنا بهم وتقية
لا بعداء مسبق ! فلن نرضخ لاحكامك لجرد انك تسجل اسم عشرين
او ثلاثين مرجعا اجنيا في آخر ابحاثك النقدية .

واؤكد لك اننا لسنا جاهلين كما قلت ولسنا عقيمين كما تدعي
.. غير اننا لا « نون » احدا ولا نبيع انفسنا لاحد !! ولكن نقدك لنا
مصوغا على ضوء ما تكتب - نحن الجيل الجديد - فلن تكون كتابتنا
منسجمة دائما مع ما تقرره لنا من « روشات » ادبية ..

وشكرا للاداب ، ولك تحياتي

احمد يوسف داود

سورية - دريكيش